التراث

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثالث - 1399 - 1979

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شيركوه

تعليق على مقال « الحارث بن كلدة »

وقيمته في تاريخ الطب العربي

بقلم الدكتور
كمال السامرائي
مستشفى السامرائي ـ بغداد

قرات بمتعة واهتمام ما كتبه الاستاذ صالح مهدي العزاوي عن حياة الحارث بن كلدة الثقفي في مجلة المورد بعددها الرابع لسنة ١٩٧٧ ، ولان المواضيع التراثية يجب ان يتوخى فيها الدقة وصحة الاسناد خوفاً من انطماس حقائقها بمرور الزمن ، لذا اشير الى ما يأتي :

(اولا) ذكر الكاتب الفاضل ان الحارث (كان نصرانياً على مذهب النساطرة) ولم يشر الى مصدر هذه الرواية ويحتمل انه نقلها عن الخليلي (معجم ادباء الاطباء ج١ . ص : ٩٩) الذي نقلها بدوره من شيخو (شعراء النصرانية ج١ . ص ٥٨) وهذا المؤلف على ما يبدو وضعها اعتباطاً اذ لم يشر الى اى مصدر قديم موثق يذكر هذه الرواية واذا حسب شيخو في سره ان الحارث قد اعتنق النصرانية في جنديسابور بتاثير اساتذتها الاطباء النسطوريين، فانه اى الحارث كما سنرى في فقرة تالية ما زال حين شهد الاسلام على دين الوثنية ، وعدم وجود اشارة صريحة في تراثياتنا الى وثنية الحارث لا ينفي كونه من هذه الديانة للاسباب الاتية :

(١) ثم ينحدر المذهب النسطوري الى داخل الجزيرة العربية ليتاثر به الحارث ، اما النصرانية التي عمل البيزنطيون بواسطة الاحباش على ادخالها الى اليمن فلم تكن على مذهب نسطوريوس ، بل ان بيزنطيا كانت تحارب هذا المذهب وتطارد رجاله فكيف تسمى الى ادخاله الى اليمن لنقول انه وصل الى الطائف عن هذا الطريق ؟ او لنقول ان الحارث اعتنقها في اليمن حين كان يدرس الطب فيها ؟

(٢) ان السريانية هي لغة النساطرة حتى انها استعملت مرادفة للنحلة النسطورية في بعض المصادر . وقد جعل ابن جلجل الاندلسي (وهو اقدم من ارخ للاطباء العرب) عنوان الطبقة السادسة في كتابه طبقات الاطباء والحكماء (ص : ٥٣) بهذه الصيغة : (من لم يكن في اصله رومياً ولا سريانياً ولا فارسياً) ووضع اسم الحارث بن كلدة الثقفي في صدر قائمة الاسماء التي اوردها في هذه الطبقة اى ان ابن جلجل نفى ان يكون الحارث سريانياً .

(٣) يروى القفطي المتوفى سنة ٦٤٩هـ ، وهو اسبق من ابن ابي اصيبعة ، في كتابه تاريخ الحكماء (ليبسك . ص : ١٦٢) ان (الحارث كان من اهل الكفر) . ونعرف ان النساطرة والنصارى عامة وكذلك اليهود والصابئة ليسوا من اهل الكفر لانهم اصحاب كتاب سماوى ، وهذا يكفي ان نؤكد بموجبه ان الحارث كان وثنياً ولم يكن من النساطرة .

(ثانياً) وقال الكاتب (فمن المتفق عليه ان

WWW.ATRAWEB.COM

الحارث من ثقيف من اهل الطائف . رحل الى ارض فارس واخذ الطب من اهل تلك الديار في جنديسابور) ثم يستطرد : (ولم يكتف الحارث بتعلمه في فارس بل اخذ الطب عن اهل اليمن ايضا) اى ان الكاتب جعل رحلة الحارث الى بلاد فارس هى الاولى وجعل رحلته الى اليمن هى الثانية في التسلسل . وبالرغم من ان تسلسل سفرتى الحارث غير واضحة في التراثيات العربية، الا ان الاستنتاج يفيدنا على ان الحارث قد سافر اولا الى اليمن لانها اقرب الى موطنه في الطائف ، ولانه بلد يلسن بالعربية ، لغة الحارث . ولان بين اليمن والطائف تواصلا تجاريا مما يسهل التنقل بين البلدين ، وكانت اليمن يومئذ تحت حكم الفرس وكان فيها دون شك عدد من الاطباء الجنديسابوريين ، فأخذ الحارث عنهم الصنعة . كما لا يستبعد ان حياة الفرس الناعمة التى لمسها الحارث في اطباء الفرس باليمن كانت هي التي اغرته على السفر الى فارس لمشاهدة اعاجيب تلك البلاد والحصول على المعرفة الطبية من منابعها العليا . ثم ان مقابلة الحارث مع كسرى في فارس كانت على الاكثر عند دخوله الى تلك الديار كما تقتضيه اصول الزيارة وآدابها لا عند خروجه منها ؛ ووردت في الحوار الذي دار بين الحارث وكسرى بعض المعلومات التشريحية والفسلجية التي لم يكن يعرفها الاطباء العرب في العصر الجاهلي ، فلابد وان الحارث قد اخذها من الاطباء الفرس باليمن قبل رحلته الى جنديسابور . ولو كان الحارث اخذها من هذه المدينة لكان ذلك بعد مقابلته لكسرى لا قبل ذلك ؛ ولما وردت حينذاك في الحوار الذى دار بينهما .

واخيرا ارجو ان تكون على اتفاق في ان ما اشرت اليه في نقدي ليس من الامور الشكلية التي يجوز اغفالها او التساهل فيها في موضوع تسجيل التراثيات .

WWW.ATTAWEEL.COM